

# آل بيت النبي ﷺ

■ بقلم الدكتور عبد الله محمد رابعة

لقد أوجب الله لأهل بيت نبيه ﷺ حقوقاً، وخصهم بفضائل، وفرض على المسلمين حب آل بيت نبيه ﷺ وموالاتهم وتقديرهم، وقد انقسم الناس في ذلك إلى غالٍ فيهم رفعهم عن مكانتهم وأخرجهم من صفات البشرية إلى صفات رب البرية، وادعى أن ذلك من محبتهم، وربما أداه ذلك إلى بغض غيرهم من الصحابة رضي الله عنهم، وإلى جافٍ أبغضهم وانتقصهم وفرطٍ في حقهم، وهدى الله أهل السنة والجماعة إلى الأمر الوسط، فأحبوهم ووالوهم وحفظوا فيهم وصية رسول الله ﷺ، فلم يُفَرِّطُوا ولم يُفَرِّطُوا، ولم يفلوا ولم يجفوا، وجعلوا ذلك أصلاً من أصولهم وقرروه في عقيدتهم.

لفظ: (آل) (وأهل) هي اللفظة:

اختلف أهل اللغة في أصل كلمة آل فقيل: أهل قلبت هاؤه ألفاً، وهو مذهب سيبويه، وقيل: أصله أول قلبت واؤه ألفاً لتحركها وانفتاح ما قبلها، وهو مذهب الكاساني، وقد صُفِّرَ على أهيل، وهو يشهد للأول، وعلى (أويل)، وهو يشهد للثاني، ولا

يضاف إلا إلى ذي شرف حقيقي (كآله)

ﷺ أو صوري قاصر على الدنيا فقط كآل فرعون نحو قوله تعالى: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ غافر: ٤٦ .

ويجوز إضافته إلى الاسم الظاهر اتفاقاً وإلى الضمير على الأصح ولا حجة لمن منعه، فقد ورد في كلام العرب<sup>(١)</sup> قال

عبد المطلب: وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم ألك بل، جاء في الحديث اللهم صلي على محمد وآله<sup>(٢)</sup> ولا يضاف إلا إلى العقلاء.

وأما الوجه الثاني فقول: إن كلمة آل أصلها في اللغة آل فقلبت الهمزة هاء للتحقيق فيكون معنى آل: أهل، وقيل عكس ذلك حيث إن الأهل تستعمل للقراءة وتستعمل لما هو أعم من ذلك، حيث تستعمل لكل من يؤول إلى الشخص من قرابة أو مذهب أو رأي فالألف فيه بدل من واو أي من آل يؤول: أي يرجع<sup>(٣)</sup>.

والآلة: الحالة؛ يقال: هو بآلة سوء، والجمع آل، والإيالة: السياسة، يقال: آل الأمير رعيته يؤولها أولاً، وإيالاً، أي ساسها وأحسن رعايتها، وفي كلام بعضهم: قد ألنا وإيل علينا، وآل ماله، أي أصلحه وساسته، والانتيال، الإصلاح والسياسة، وآل، أي رجع<sup>(٤)</sup>.

الفرق بين الآل والذرية: آل الرجل: ذو قرابته، وذريته: نسله، فكل ذرية آل، وليس كل آل بذرية، أما الأهل: أهل الرجل وأهل الدار، والجمع أهلون وأهال وأهال وأهلات وأهلات<sup>(٥)</sup>، وحكى سيبويه في جمع أهل أهلون، وسئل الخليل لم سكنوا الهاء ولم يحركوها كما حركوا أرضين؟ فقال: لأن

الأهل مذكر قيل: فلم قالوا: أهلات؟ قال: شبهوها بأرضات<sup>(٦)</sup>.

وأهل الإسلام من يدين به وأهل الأمر ولأته وأهل البيت سكرانه وأهل الرجل أخص الناس به، وأهل بيت النبي ﷺ أزواجه وبناته وصهره أعني علياً رضي الله عنه، وقيل: نساء النبي ﷺ، والرجال الذين هم آله وفي التنزيل العزيز ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ الأحزاب: ٣٣، القراءة أهل بالنصب على المدح، كما قال: بك الله نرجو الفضل وسبحانك الله العظيم، أو على النداء كأنه قال: يا أهل البيت، وقوله عز وجل لنوح ﷺ: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ هود: ٤٦.

قال الزجاج: أراد ليس من أهلك الذين وعدتهم أن أنجيهم، قال: ويجوز أن يكون ليس من أهل دينك وأهل كل نبي أمته ومنزل أهل أي به أهله ومكان أهل له أي: مأهول فيه<sup>(٧)</sup>، وإلة الرجل فهم أهل بيته الذين يئول إليهم أي يلجأ إليهم من وآل يئول، وإلة حرف ناقص أصله وثلة مثل صلة وزنة أصلهما صلة ووزنة، وأما إيلة الرجل فهم أصله الذين يؤول إليهم وكان أصله إولة فقلبت الواو ياء التهذيب وأيلة قرية عربية كأنها سميت إيلة لأن أهلها يؤولون إليها<sup>(٨)</sup>، وقد يقال: أهل الرجل زوجه،

والرجل من قوم فرعون وليس من على دينهم.

٢- وقد يقصد بها الذرية كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ آل عمران: ٣٣-٣٤.

٣- وقد يقصد بها الشيعة والأتباع، كما في قوله تعالى: ﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَمَّا كِتَابُهُمْ بَذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ الأنفال: ٥٤، وقوله تعالى: ﴿ادْخُلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ غافر: ٤٦.

٤- وقد يقصد بها أحياناً نفس الآل كما في قوله تعالى: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ البقرة آية ٢٤٨، وقوله تعالى: ﴿وَبَنِمُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلٍ يَغْفُوبُ كَمَا آتَمَهَا عَلَىٰ أَبِيكَ مِنْ قَبْلُ﴾ يوسف: ٦.

♦ مفهوم آل البيت عند الشيعة الإثني عشرية<sup>(١٥)</sup>:

جمهور الشيعة يرون أن المراد بأهل البيت هم أصحاب الكساء الخمسة، وأنهم هم الذين نزلت فيهم آية التطهير: ﴿إِنَّمَا يَرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ الأحزاب: ٣٣، وهم: محمد ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين.

والتأهل التزويج، قاله الخليل<sup>(٩)</sup> وأهل البيت سكانه، وأهل الإسلام من يدين به<sup>(١٠)</sup>، أما الآل: فجاء في معجم مقاييس: اللغة قوله: آل الرجل أهل بيته<sup>(١١)</sup>، وقال ابن منظور: "آل الرجل أهله، وآل الله وآل رسوله أولياؤه، أصلها (أهل) ثم أبدلت الهاء همزة، فصار في التقدير (آل)، فلما توالى الهمزتان أبدلوا الثانية ألفاً<sup>(١٢)</sup>، وهو لا يضاف إلا فيما فيه شرف غالباً، فلا يقال: آل الحائك خلافاً لأهل، فيقال: أهل الحائك، وبيت الرجل داره وقصره وشرفه<sup>(١٣)</sup>، وإذا قيل: البيت انصرف إلى بيت الله الكعبة؛ لأن قلوب المؤمنين تهفو إليه والنفوس تسكن فيه، وهو القبلة، وإذا قيل: أهل البيت في الجاهلية، انصرف إلى سكانه من قريش خاصة، وبعد الإسلام إذا قيل: أهل البيت، فالمراد آل رسول الله ﷺ<sup>(١٤)</sup>.

والصحيح أنها تستعمل لكل هذه المعاني، فقد جاء ذكرها في القرآن الكريم في عدة مواضع ويختلف معناها باختلاف سياق الكلام، حيث وردت بالمعاني وأهمها:

١- القرابة أو القوم وذلك في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ﴾ غافر: ٢٨، فهذا

وقد زادت الجعفرية على أصحاب الكساء بقية الأئمة الاثني عشر، مع أنه لم يرد لهم في حديث الكساء أي ذكر، وهم يرون عدم دخول أمهات المؤمنين في مسمى آل البيت، واستدلوا على ذلك الحصر بآية التطهير السابقة، ونحن نقول: أين الحصر في الآية الذي بموجبه زعموا أن زوجات الرسول ﷺ لا يدخلن فيه؟ فإن نص الآية وسياقها يدل ولأول وهلة أن المراد بأهل البيت أزواج النبي ﷺ أمهات المؤمنين؛ لأن ما قبل آية التطهير وما بعدها خطاب لهن رضي الله عنهن، ولهذا قال بعد هذا كله: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾<sup>(٢٤)</sup>.

وكذلك تزعم الشيعة أن خطاب التذكير في قوله تعالى: (عنكم) و (يطهركم) يمنع من دخول أمهات المؤمنين في جملة أهل البيت، وهذا مردود؛ وذلك لأنه إذا اجتمع المذكر والمؤنث في جملة غلب المذكر، والآية عامة في جميع آل البيت كما سبق، فناسب أن يعبر عنهم بصيغة المذكر<sup>(٢٥)</sup>.

❖ الآيات والأحاديث التي ذكر فيها لفظ آل وأهل:

أما الآيات القرآنية فهي على النحو التالي:

قوله تعالى: ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ

أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ هود: ٧٣، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ ذرّة بفضها من بفض آل عمران: ٣٣-٣٤، وقوله: ﴿أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ غافر: ٤٦، وقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ﴾ غافر: ٢٨، وقوله تعالى: ﴿وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلَّ كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ آل الأنفال: ٥٤، وقوله تعالى: ﴿وَبَقِيَّةٌ مِمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ﴾ البقرة: ٢٤٨، وقوله تعالى: ﴿وَبِئْتِمُ نِعْمَتُهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا آتَمَهَا عَلَىٰ أَبِيكَ مِنْ قَبْلُ﴾ يوسف: ٦، وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ الأحزاب: ٣٣، وقوله تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ الصافات: ١٢٠<sup>(١٧)</sup>.

أما الأحاديث في ذكر آل والأهل فهي:

١- "إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة"<sup>(١٨)</sup>.

٢- "إنا آل محمد لا تحل لنا الصدقة وإن مولى القوم من أنفسهم"<sup>(١٩)</sup>.

٣- عن أبي حميد الساعدي أنهم قالوا: يا رسول الله كيف نصلي عليك، قال: "قولوا: اللهم صل على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على إبراهيم إنك

ابن أرقم، فلما جلسنا إليه قال له حصين: لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، رأيت رسول الله وسمعت حديثه، وغزوت معه، وصليت خلفه، لقد لقيت يا زيد خيراً كثيراً، حدثنا يا زيد ما سمعت من رسول الله قال: يا ابن أخي، والله لقد كبرت سني، وقدم عهدي، ونسيت بعض الذي كنت أعي من رسول الله ﷺ، فما حدثتكم فاقبلوا، وما لا فلا تكلفوني، ثم قال: قام رسول الله ﷺ يوماً فينا خطيباً بماء يدعى خمًا، بين مكة والمدينة، فحمد الله وأثنى عليه، ووعظ وذكر، ثم قال: أما بعد: ألا أيها الناس! فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين أولهما: كتاب الله؛ فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به. فحث على كتاب الله ورغّب فيه، ثم قال: وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي (٢٧).

فهذا الحديث فيه دلالة واضحة على فضيلة أهل بيته ﷺ، حيث جعلهم ثقلًا وقرن الوصية بهم بالوصية بالالتزام والتمسك بكتاب الله الذي فيه الهدى والنور، وهذا دليل واضح على عظيم حقهم، وارتفاع شأنهم، وعلو مكانتهم.

حميد مجيد<sup>(٢٠)</sup>، وفي رواية عن أبي مسعود الأنصاري قال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آله كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم إنك حميد مجيد<sup>(٢١)</sup>.

٤- عن عقبة بن عمرو في حديثه: "اللهم صل على محمد النبي الأمي وعلى آل محمد"<sup>(٢٢)</sup>، وفي رواية أبي سعيد الخدري: "اللهم صل على محمد عبدك ورسولك"<sup>(٢٣)</sup>.

٥- حديث أبي هريرة: "اللهم صل على محمد النبي وأزواجه أمهات المؤمنين وذريته أهل بيته كما صليت على إبراهيم إنك حميد مجيد"<sup>(٢٤)</sup>.

٦- سئل النبي ﷺ كيف نصلي عليك يا رسول الله، فقال: قولوا: اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد<sup>(٢٥)</sup>.

٧- قال أبو بكر رضي الله عنه: "أرقيبوا محمداً ﷺ في أهل بيته"<sup>(٢٦)</sup>.

١- عن يزيد بن حيان قال: (انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد

٢- روى مسلم في صحيحه عن وائلة ابن الأسقع قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "إن الله اصطفى كنانة من ولد إسماعيل، واصطفى قريشاً من كنانة، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم" (٢٨).

٣- روى الإمام أحمد في مسنده بإسناده عن رجل من أصحاب النبي ﷺ أنه كان يقول: "اللهم صل على محمد، وعلى أهل بيته، وعلى أزواجه وذريته، كما صليت على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد، وبارك على محمد، وعلى أهل بيته، وعلى أزواجه وذريته، كما باركت على آل إبراهيم إنك حميدٌ مجيد" (٢٩).

قال ابن القيم: "فجمع بين الأزواج والذرية والأهل، وإنما نص عليهم بتعيينهم ليبين أنهم حقيقون بالدخول في الآل، وأنهم ليسوا بخارجين منه، بل هم أحق من دخل فيه، وهذا كتنظيره من عطف الخاص على العام وعكسه: تنبيهها على شرفه، وتخصيصها له بالذكر من بين النوع؛ لأنه أحق أفراد النوع بالدخول فيه" (٣٠).

#### ♦ في محبته ﷺ:

معلوم أنه بعد قراءات الآيات والأحاديث المتعلقة بآل بيت الرسول ﷺ يتبين لنا محبته ﷺ ومعلوم أن من أدمن على

الاقتداء به ﷺ ورغب في متابعته فقد فاز بمحبته، ومن أحبه كان معه في الجنة والنعيم المقيم ولنعم المعية، روى أنس رضي الله عنه أنه أتى رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله متى الساعة؟ فقال: «ما أعددت لها؟ قال: ما أعددت لها من كبير صلاة ولا ضوم ولا صدقة ولكني أحب الله ورسوله فقال: أنت مع من أحببت» (٣١).

وعن صفوان بن قدامة قال: هاجرت إلى النبي ﷺ فأتيته فقلت: يا رسول الله ناولني يدك أبايعك؟ فناولني يده فقلت، يا رسول الله إني أحبك فقال: «المرء مع من أحب» (٣٢)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: "من أشد امتي لي حباً ناس يكونون بعدي يود أحدهم لو رأياني بأهله وماله" (٣٣)، وعن علي رضي الله عنه أن النبي ﷺ أخذ بيدي الحسن والحسين رضي الله عنهما فقال: "من أحبني وأحب هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة" (٣٤)، وقد كان الصحابة ومن بعدهم من التابعين وأئمة المسلمين يحبون رسول الله ﷺ حباً لا يقاومه شيء، فقد كان التابعي خالد بن معدان لا يأوي إلى فراشه إلا وهو يذكر من شوقه إلى رسول الله ﷺ وإلى أصحابه الأخيار وللمهاجرين والأنصار، ويسمّيهم بأسمائهم، ويقول: هم أصلي وفصلي

رضوان الملك العلام فإنهم رضي الله عنهم لا يفتررون عن ذكره ﷺ، ولا عن قيام بواجب محبته والعمل بسنته، حتى إن أحدهم يود فراق الدنيا للحاق به ﷺ، رجاء أن تلحقه محبته بجواره وأن يتملى بمشاهدته، ولهذا فإن المرء مع من أحب معية تلحق المحب بالتشريف بنظر المحبوب فما أكثرهم رضي الله عنهم حباً لرسول ﷺ وما أحسن ما قال الصيادي في هذا المعنى:

عشقت أرواح المحبين الأولى

فأدوه للإخلاص بالأرواح

وتحققوا أن الممات بحبه

وصل يصح بفرقه الأشباح

وما ورد أن بلالاً ﷺ لما احتضر وكان عمره قد ناف عن الثمانين صاحت امرأته: واحزناء فقال: واطرياه، غداً نلقى الأحبة محمداً وصحبه. والذي يروى في كتب السير أن بلالاً امتنع عن الأذان بعد موت الرسول ﷺ، فراوده الصحابة فلم يقبل، فاقسم عليه أبو بكر ليؤذن، فصعد، فلما قال: أشهد أن محمداً رسول الله، ارتجت المدينة بالبكاء ولم يستطع مواصلة ذلك ثم عاد إلى الشام.

ومما ورد أن امرأة قالت لعائشة رضي

وإليهم يحن قلبي، طال شوقي إليهم فعجل ربي قبضي إليك حتى يغلبه النوم<sup>(٣٥)</sup>، وسأل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ كيف كان حبكم لرسول الله ﷺ؟ قال: كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا وأبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظما<sup>(٣٦)</sup>، ويحكى أن علياً ﷺ وقف عند قبر رسول الله ﷺ وبكى جهده حتى كادت تزهر نفسه الكريمة وأنشد قائلاً:

كنت السواد لناضري

فبكى عليك الناضر

من شاء بعدك فليموت

فعليك كنت أحاذر

وبكت السيدة فاطمة الزهراء رضي الله عنها عند قبر أبيها صلوات الله عليه وعليها بكاءً شديداً وأنشدت:

ماذا على من شم تربة أحمد

أن لا يشم مدى الزمان غواليا

صبت علي مصائب لو

أنها صبت على الأيام صرن لياليا

فقد كانت رضي الله عنها دائمة البكاء بعد وفاته ﷺ، متواصلة الأحزان، حتى لحقت به ﷺ بعد وفاته بستة أشهر<sup>(٣٧)</sup>،

وعلى ذلك كان الأصحاب العظام عليهم

الله عنها: اكشفي لي قبر رسول الله فكشفته لها فبكت حتى ماتت قال أبو سفيان ما رأيت من الناس أحداً يحب أحداً كحب أصحاب محمد لمحمد ﷺ، ومن علامات محبته كثرة ذكره بأسمائه الشريفة وأوصافه، وطاعته فنسأل الله تعالى أن يجعلنا من المحبين له، ونصلي ونسلم عليه وعلى آله الطاهرين إلى يوم الدين<sup>(٢٨)</sup>.

فمن ادعى محبة النبي ﷺ بدون متابعة وتقديم قوله على قول غيره فقد كذب كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ﴾ النور: ٤٧، فنفى الإيمان عمن تولى عن طاعة الرسول ﷺ لكن كل مسلم يكون محباً بقدر ما معه من الإسلام، وكل مسلم لا بد أن يكون مؤمناً وإن لم يكن مؤمناً، الإيمان المطلق؛ لأن ذلك لا يحصل إلا لخواص المؤمنين، قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فَعَامَّةُ النَّاسِ إِذَا أَسْلَمُوا بَعْدَ كُفْرٍ أَوْ وَلِدُوا عَلَى الْإِسْلَامِ وَالتَّزَمُوا شَرَائِعَهُ وَكَانُوا مِنْ أَهْلِ الطَّاعَةِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهُمْ مُسْلِمُونَ وَمَعَهُمْ إِيْمَانٌ مُجْمَلٌ وَلَكِنْ دُخُولُ حَقِيقَةِ الْإِيْمَانِ إِلَى قُلُوبِهِمْ إِنَّمَا يَحْصُلُ شَيْئًا فَشَيْئًا إِنْ أَعْطَاهُمُ اللَّهُ ذَلِكَ، وَالْأَكْثَرُ مِنَ النَّاسِ لَا يَصِلُونَ لَا إِلَى الْيَقِينِ وَلَا إِلَى الْجِهَادِ، وَلَوْ شُكُّوا لَشُكُّوا

وَلَوْ أُمِرُوا بِالْجِهَادِ لَمَّا جَاهَدُوا وَلَيْسُوا كُفَّارًا وَلَا مُنَافِقِينَ بَلْ لَيْسَ عِنْدَهُمْ مِنْ عِلْمِ الْقَلْبِ وَمَعْرِفَتِهِ وَبَيِّنِهِ مَا يَذَرُّ الرَّيْبَ وَلَا عِنْدَهُمْ مِنْ قُوَّةِ الْحُبِّ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ مَا يُقَدِّمُونَهُ عَلَى الْأَهْلِ وَالْمَالِ، وَهَؤُلَاءِ إِنْ عَرَفُوا مِنَ الْمَحَنَةِ وَمَاتُوا دَخَلُوا الْجَنَّةَ، وَإِنْ أُبْتُلُوا بِمَنْ يُورَدُ عَلَيْهِمْ شُبُهَاتُ تَوْجِبُ رَيْبَهُمْ فَإِنْ لَمْ يَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِمَا يُزِيلُ الرَّيْبَ وَالْأَصَارُوا مُرْتَابِينَ وَانْتَقَلُوا إِلَى نَوْعٍ مِنَ النَّفَاقِ»<sup>(٣٩)</sup>.

وفي هذا الحديث: أن الأعمال من الإيمان<sup>(٤٠)</sup>؛ لأن المحبة عمل القلب، وفيه: أن محبة الرسول ﷺ واجبة تابعة لمحبة الله لازمة لها فإنها لله ولأجله تزيد بزيادة محبة الله في قلب المؤمن وتنقص بنقصها، وكل من كان محباً لله فإنما يحب في الله ولأجله كما يحب الإيمان والعمل الصالح، وهذه المحبة ليس فيها شيء من شوائب الشرك كالاعتماد عليه ورجائه في حصول مرغوب منه أو دفع مرهوب منه، وما كان فيها ذلك فمحبته مع الله لما فيها من التعلق على غيره والرغبة إليه من دون الله، فبهذا يحصل التمييز بين المحبة في الله ولأجله التي هي من كمال التوحيد وبين المحبة مع الله التي هي محبة الأنناد من دون الله لما يتعلق في قلوب المشركين من الإلهية التي لا تجوز إلا لله وحده.



المحنة ونظائرها، قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: «أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ هَذِهِ الثَّلَاثَ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، لِأَنَّ وُجُودَ الْحَلَاوَةِ بِالشَّيْءِ يَتَّبِعُ الْمَحَبَّةَ لَهُ، فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئًا أَوْ أَشْتَهَاهُ إِذَا حَصَلَ لَهُ مُرَادُهُ، فَإِنَّهُ يَجِدُ الْحَلَاوَةَ وَاللَّذَّةَ وَالسُّرُورَ بِذَلِكَ»<sup>(١٣)</sup>.

يقول عبدالرحمن آل الشيخ: «ومحبة الله تعالى تستلزم محبة طاعته فإنه يحب من عبده أن يطيعه والمحبة يحب ما يحبه محبوبه ولا بد، ومن لوازم محبة الله أيضا: محبة أهل طاعته كمحبة أنبيائه ورسوله والصالحين من عبادته، فمحبة ما يحبه الله، ومن يحبه الله من كمال الإيمان كما في حديث ابن عباس<sup>(١٤)</sup>، ومن لوازم محبة الله محبة النبي ﷺ، ومن هنا نعرف حقيقة محبة النبي ﷺ؛ بل من لازم محبة الله محبة النبي ﷺ، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ آل عمران: ٣١.

فالإتباع أصل عظيم من أصول الدين، وهو قاعدة الإسلام التي يقوم عليها؛ بل هو حقيقته ولبه، فلا يكون الإنسان مسلماً أبداً إلا إذا اتبع الرسول ﷺ ظاهراً وباطناً، بأن حصل من العبد انقياد واستسلاماً ظاهري لما جاء به الرسول ﷺ

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يَقْذِفَ بِالنَّارِ»<sup>(١٥)</sup> وفي رواية: «لَا يَجِدُ أَحَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ حَتَّى يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ»<sup>(١٦)</sup>، وقوله: «ثَلَاثٌ أَي: ثَلَاثُ خِصَالٍ، وَقَوْلُهُ: مَنْ كُنَّ فِيهِ أَي وَجَدَتْ فِيهِ تَامَةً، وَقَوْلُهُ: وَجَدَ بَهْنِ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، الْحَلَاوَةُ هُنَا هِيَ الَّتِي يَعْبُرُ عَنْهَا بِالذُّوقِ لَمَّا يَحْصِلُ بِهِ مِنْ لَذَّةِ الْقَلْبِ وَنَعِيمِهِ وَسُرُورِهِ وَغِذَائِهِ وَهِيَ شَيْءٌ مُحْسُوسٌ يَجِدُهُ أَهْلُ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِهِمْ.

وفي بعض الآثار: «أَحْبَبُوا اللَّهَ بِكُلِّ قُلُوبِكُمْ» فمن علامات محبة الله ورسوله: أَنْ يُحِبَّ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَكْرَهُ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ، وَيُؤْثِرَ مَرْضَاتِهِ عَلَى مَا سِوَاهُ، وَيَسْعَى فِي مَرْضَاتِهِ مَا اسْتَطَاعَ وَيَبْعَدُ عَمَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ، وَيَكْرَهُ أَشَدَّ الْكَرَاهَةِ، وَيَتَابِعَ رَسُولَهُ، وَيَمْتَثِلُ أَمْرَهُ وَيَتْرَكَ نَهْيَهُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَطْعِ الرُّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ النساء: ٨٠.

فمن أثر أمر غيره على أمره وخالف ما نهى عنه فذلك أحب الله وأطاعه أحب الرسول وأطاعه ومن لا فلا كما في آية

مع خلو باطنه من ذلك<sup>(٤٥)</sup>.

ومن حقه ﷺ أن يكون أحب إلى المؤمن من نفسه وولده وجميع الخلق كما دل على ذلك قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ﴾ التوبة: ٢٤، وقال الشيخ السعدي رحمه الله: "هذه الآية الكريمة أعظم دليل على وجوب محبة الله ورسوله ﷺ وعلى تقديمها على محبة كل شيء، فإنه إن قدم ما تهواه نفسه على ما يحبه الله دل على أنه ظالم تارك لما يجب عليه"<sup>(٤٦)</sup>.

قال الغزالي: "وكذلك أهوال الآخرة ليس لها حصن إلا قول: لا إله إلا الله صادقاً، ومعنى صدقه أن لا يكون له مقصود سوى الله تعالى، ولا معبود غيره، ومن اتخذ إلهه هواه فهو بعيد من الصدق في توحيدهِ وأمره مخطر في نفسه، فإن عجزت عن ذلك كله فكن محباً لرسول الله ﷺ، حريصاً على تعظيم سنته، ومتشوقاً إلى مراعاة قلوب الصالحين من أمته، ومتبركاً بأدعيتهم فعمساك أن تنال من شفاعته أو شفاعتهم فتجوا بالشفاعة إن كنت قليل البضاعة"<sup>(٤٧)</sup>.

هكذا يفسر شيخنا الغزالي الصدق والإخلاص ويجعله في الدرجة الأولى،

وهذا أمر صحيح، فالإخلاص لله لا يتحقق إلا بمحبة النبي ﷺ، فهما شيان لا ينفصلان فلا إخلاص ولا توحيد إلا بمحبة النبي ﷺ فما يقرره الغزالي ههنا أصل مهم، فمن حقق التوحيد فهو بحاجة إلى النبي وإلى محبته، وكلامه في ذلك واضح لا غبار عليه<sup>(٤٨)</sup>.

فأهل السنة والجماعة يحبون أهل بيت رسول الله ﷺ ويتولونهم ويحفظون فيهم وصية رسول الله ﷺ حيث قال يوم غدِير خم (اسم موضع): "أذكركم الله في أهل بيتي"<sup>(٤٩)</sup> فأهل السنة يحبونهم ويكرمونهم، لأن ذلك من محبة النبي ﷺ وإكرامه، وذلك شرط أن يكونوا متبعين للسنة مستقيمين على الملة، كما كان عليه سلفهم كالعباس وبنيه وعلي وبنيه، أما من خالف السنة ولم يستقم على الدين فإنه لا يجوز موالاته ولو كان من أهل البيت<sup>(٥٠)</sup>.

ويجب أن نقدم محبة النبي ﷺ على محبة الوالد والولد وجميع الناس كما قال ﷺ: "لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين"<sup>(٥١)</sup>، ومحبته الصادقة تكون باتباع سنته والإقتداء بهديه.

يتبع في العدد القادم ان شاء الله

الهوامش:

- (١) عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، (ت ٩١١هـ)،  
معجم الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال  
الدين، تحقيق عبد الحميد هندائي، المكتبة  
التوفيقية، مصر، ج ٢ ص ٥١٦.
- (٢) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٥٢٩ برقم ٣٩٣٣ .
- (٣) أنظر: عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد  
السهيلى (ت ٥٨١هـ)، الروض الأنف في شرح  
غريب السير، ج ١ ص ٣٤.
- (٤) أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري (٣٩٣هـ)،  
الصحاح في اللغة، ج ١ ص ٢٧.
- (٥) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسى،  
(ت ٤٥٨هـ)، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق :  
عبد الحميد هندائي، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠م،  
بيروت، ج ١ ص ٣٢.
- (٦) محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ)، لسان  
العرب، دار صادر، بيروت، ط ١، ج ١١، ص ٢٨.
- (٧) محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١هـ)، لسان  
العرب، دار صادر، بيروت، ط ١، ج ١١، ص ٢٨.
- (٨) أنظر: لسان العرب ج ١١ ص ٧١٥.
- (٩) أنظر: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد  
الفراهيدي (ت ١٧٠هـ)، كتاب العين، دار ومكتبة  
الهلal، تحقيق : د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم  
السامرائي ج ٤ ص ٨٩.
- (١٠) أنظر: الصحاح في اللغة ج ٤ ص ١٦٢٨، ولسان  
العرب ج ١١ ص ٢٨.
- (١١) أبو الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، معجم  
مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون،  
دار الفكر، ط ١، ١٩٧٩م، ج ١ ص ١٦٦.
- (١٢) أنظر: لسان العرب، ج ١١، ص ٣١، ونحوه عن
- الأصفهاني في المفردات في غريب القرآن ص ٣٠.
- (١٣) أنظر: أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري  
(ت ٦٠٦هـ)، النهاية في غريب الحديث والأثر،  
المكتبة العلمية، بيروت، ١٩٧٩م، تحقيق: طاهر  
أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناحي، ج ١  
ص ١٧٠.
- (١٤) أنظر: الحسين بن محمد بن المفضل، المفردات  
في غريب القرآن، دار العلم الدار الشامية،  
دمشق، بيروت، ١٤١٢ هـ، تحقيق : صفوان عدنان  
داودي ص: ٢٩.
- (١٥) أنظر موقع ليلاس تحت عنوان مفهوم محبة  
وحقوق آل البيت بين السنة والشيعة.
- (١٦) أنظر: شرح الزيارة الجامعة، لعبد الله شير ص:  
(١٢٧-١٢٨).
- (١٧) قرأ نافع آل ياسين كآل محمد، وقرأ حفص إل  
بكسر الهمزة وسكون (ال) واختلف: هل آل ياسين  
معناه إلياس أو معناه ذو ياسين كما آل بني فلان،  
والراجع أن المراد بآل ياسين: الصدارة نحو قول  
النبي ﷺ آل محمد كل بقي نقي. أنظر كتاب أبي  
بكر الجزائري، أيسر التفاسير ج ٤ ص ٢ الصفات.
- (١٨) رواه أحمد ج ١ ص ٢٠٠، برقم ١٧٢٥ وابن حبان  
ج ٨ ص ٨٨ برقم ٣٢٩٣ .
- (١٩) رواه أحمد ج ٦ ص ١٠ برقم ٢٣٩٢٣ .
- (٢٠) رواه البخاري ج ٤ ص ١٧٨ كتاب بدء الوحي.
- (٢١) أخرجه البخاري باب بدء الوحي ج ٨ ص ٩٥.
- (٢٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه، باب الصلاة  
على النبي ﷺ، ج ١ ص ٣٥١ برقم ٧١١.
- (٢٣) رواه البخاري، ج ٦ ص ١٥١.
- (٢٤) رواه أبو داود ج ١ ص ٣٧٣ برقم ٩٨٤.

الحراني (ت: ٧٢٨هـ). مجموع الفتاوى، ج ٧، ص ٢٧١ تحقيق: أنور الباز وعامر الجزار، دار الوفاء، ط ٣، ١٤٢٦ هـ.

(٤٠) الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦هـ)، شرح السنة، تحقيق شعيب الأرنؤوط - محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، ط ٢، ١٩٨٣م، ص ٢٨

(٤١) رواه البخاري ج ١ ص ١٢ باب: بدء الوحي.

(٤٢) رواه البخاري ج ٨ ص ١٧، باب بدء الوحي.

(٤٣) أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، إقامة الدليل على إبطال التحليل ج ٤ ص ٣٦٧.

(٤٤) عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ج ١، ص ٣٢٤.

(٤٥) الحوالي، شرح العقيدة الطحاوية، ج ١ ص ٥١٠.

(٤٦) وسيم فتح الله، إسفاف المؤمنين بنصرة خاتم المرسلين ج ١ ص ١٣.

(٤٧-٤٨) محمد المفرائي، الأسباب الحقيقية لحرق إحياء علوم الدين من قبل أمير المؤمنين ابن تاشفين، - ج ١ ص ٣٠٥.

(٤٩) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٢.

(٥٠) صالح بن فوزان بن عبد الله الفوزان، كتاب التوحيد، ط ٤، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ج ١ ص ١١٦.

(٥١) عبد العزيز بن محمد آل عبد اللطيف، التوحيد للناشئة والمبتدئين، ج ١ ص ٦٢، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ١٤٢٢هـ.

(٢٥) أخرجه البخاري، ج ١ ص ١٧٨.

(٢٦) رواه البخاري، ج ٣ ص ١٢٧٠ برقم ٣٥٤١.

(٢٧) صحيح مسلم ج ٧ ص ١٢٢ برقم ٦٣٧٨.

(٢٨) مسند أحمد ج ٥ ص ٣٧٤.

(٢٩) مسند أحمد ج ٤ ص ٢٤٣ برقم ١٨١٥٢.

(٣٠) محمد بن أبي بكر، ابن القيم الجوزية (٧٥١هـ)، جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، دار العروبة، الكويت، ط ١، ١٩٨٧م، تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط، ص: ٢٣٨.

(٣١) رواه البخاري، باب بدء الوحي ج ٥ ص ١٤، ومسلم ج ٨ ص ٤٢ برقم ٦٨٧٨.

(٣٢) رواه أحمد في مسنده ج ٤ ص ٢٢٩ واتفق عليه الشيخان البخاري ومسلم ورواه أبو داود والترمذي والنسائي.

(٣٣) أخرجه مسلم، ج ٨ ص ٤٥ برقم ٧٢٢٢.

(٣٤) رواه أحمد، ج ١ ص ٧٧ برقم ٥٧٦، والترمذي، ج ٥ ص ٦٤١، قال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه من حديث جعفر بن محمد إلا من هذا الوجه.

(٣٥) النبهاني، الأنوار المحمدية ص ٤١٩، الشفا بتمريف حقوق المصطفى، القاضي عياض اليحصبي ت ٥٤٤ هـ، ج ٢ ص ٢٤٤.

(٣٦) أنظر: القاضي عياض اليحصبي، الشفا بتمريف حقوق المصطفى، ج ٣ ص ٢٤.

(٣٧) أنظر سيرة ابن هشام، ج ٢ ص ٣٢.

(٣٨) أنظر: القاضي عياض اليحصبي، الشفا بتمريف حقوق المصطفى ج ٢ ص ٢١.

(٣٩) أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية